المدخل لدراسة العقيدة الاسلامية

المرحلة الاولى

المحاضرة الرابعة: خصائص العقيدة الإسلامية

التعريف بـ"خصائص":

الخصائص جمع خصيصه، يقال: خصه بالشيء خصا وخصوصا وخصوصية، وخصيصي. واختصه بكذا؛ أي: خصه به، فاختص، وتخصص، أي: تفرد[١].

والخصيصة: هي الصفة البارزة المميزة. فإذا قلنا: خصائص العقيدة، فمرادنا: صفاتها البارزة التي تنفرد بها، وتميزها عن بقية العقائد.

١- من خصائص العقيدة الإسلامية أنها توقيفية

معنى التوقيف في اللغة:

التوقيف لغة مأخوذة من الوقف. يقال: وقف الدار، إذا حبسها. والتوقيف في الحج: وقوف الناس في المواقف. وموقف الرجل: وقوفه في أي مكان حيث كان[٢].

المراد من كون العقيدة الإسلامية توقيفية:

المراد من كون العقيدة توقيفية: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد أوقف أمته على مباحث العقيدة، فلم يترك لهم شيئا إلا بينه [٣]، فيجب على الأمة أن تقف عند الحدود التي حدها وبينها[٤].

ما الذي يلزم من كون العقيدة توقيفية:

لقد بين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- العقيدة بالقرآن والسنة، فما ترك منها شيئا إلا بينه. ويلزم من هذا:

١- أن نحدد مصادر العقيدة، بأنها الكتاب والسنة فقط.

---

(١)انظر: الصحاح للجوهري ٣/ ١٠٣٧. والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص٧٩٦.

(٢)انظر المصدران السابقان ٤/ ١٤٤٥، ص١١١٢-١١١٣.

(٣)انظر: مباحث في عقيدة أهل السنة للعقل ص٣٨. والمدخل لدراسة العقيدة للبريكان ص٦٢.

(٤)انظر مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لعثمان جمعة ضميرية ص٣٨٣.

٢- أن نلتزم بما جاء في الكتاب والسنة فقط. فليس لأحد أن يحدث أمرا من أمور الدين، زاعما أن هذا الأمر يجب التزامه أو اعتقاده؛ فإن الله عز وجل أكمل الدين، وانقطع الوحي، وختمت النبوة، يقول تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (٥)، ويقول -صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" (٦). وهذا الحديث قاعدة من قواعد الدين، وأصل من أصول العقيدة(٧).

٣- أن نلتزم بألفاظ العقيدة الواردة في الكتاب والسنة، ونتجنب الألفاظ المحدثة التي أحدثها المبتدعة؛ إذ العقيدة توقيفية، فهي مما لا يعلمه إلا الله (٨).

إن لعقيدة التوحيد من الخصائص والمزايا التي لا تتوفر في غيرها من العقائد فهي الإيمان الذي ارتضاه الله لنا وأنعم به علينا، قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(٩) ، لذا فهي منهج الحياة الصحيح الذي رسمه الله لنا لنفوز بخير الدنيا والآخرة.

ومن هذه الخصائص وأهمها ما يأتي:

٢- أنها ربانية من عند الله . تعالى . .

إن العقيدة الصحيحة دين الفطرة التي تطمئن إليها النفس ، وأن السعادة تكمن في تطبيقها وتنفيذها وأن الشقاء يأتي على من تركها ، لذا فالخير كله يكمن في تطبيق الشريعة المبنية على هذه العقيدة(١٠) قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾(١١).

---

(٥) سورة المائدة: من الآية: ٣.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور، فالصلح مردود.

(٧) ينظر: مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة للعقل ص٣٩.

(٨) ينظر: المرجع نفسه.

(٩) سورة المائدة: من الآية: ٣.

(١٠) ينظر: علم العقيدة بين الأصالة والمعاصرة ، د . أحمد عبد الكريم السايح ، دار الطباعة المحمدية – القاهرة- ط١ ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، ص٢٠ .

(١١) سورة لأعراف: الآية: ٩٦ .

وبما أن هذه العقيدة ربانية من عند الله فأنها مبرأة من النقص سالمة من العيب بعيدة عن الحيف والظلم[١٢].

٣- أنها عقيدة ثابتة:

وثبات العقيدة ناتج عن إنها منزلة من عند الله سبحانه وتعالى وقد انقطع الوحي بالتحاق الرسول (ﷺ) بالرفيق الأعلى وبقيت النصوص ثابتة إلى يوم الدين لا ينسخها ناسخ ولا يبدلها إلا كافر[١٣] قال تعالى:﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [١٤] .

وهذا الثبات يجعل الناس جميعا تحت ظل الحكم الإلهي وليس هناك حاكم إلا الله (ﷻ) فالله تعالى وحده هو المتصرّف بخلقه[١٥] ، وهذا ما أكّدته الكثير من الآيات القرآنية ومنها قوله تعالى:﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾[١٦].

٤- أنها عقيدة واضحة:

جاءت العقيدة الإسلامية واضحة ناصعة بيضاء كوضوح الشمس في كبد السماء ، لا لبس فيها ولا التواء ، قال النبي (ﷺ) : **(قد تَرَكْتُكُمْ على الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لاَ يَزِيغُ عنها بعدي الا هَالِكٌ)** [١٧] .

---

[١٢] العقيدة في الإسلام ، السيد رزق الطويل ، القاهرة ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م ، ص٩٣-٩٤، والإسلام عقيدة وشريعة ، محمود شلتوت ، دار الشروق – القاهرة – ط١٤ ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ، ص٥٥.

(١٣) ينظر: شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان ، يوسف القرضاوي ، دار الصحوة للنشر ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، ص١١.١٢.

(١٤) سورة الروم: الآية: ٣٠.

(١٥) ينظر:العقيدة في الإسلام ، الطويل ، ص٨٧-٨٨ ، والسنن الإلهية ، د.عبد الكريم زيدان ص١٥.

(١٦) سورة الأنبياء: الآية:٢٣ .

(١٧) مسند أحمد بن حنبل ، حديث العرباض بن سارية (رضي الله عنه) ١٢٦/٤رقم(١٧١٨٢) ، وسنن ابن ماجة ، باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ١٦/١ رقم(٤٣) ، والمستدرك ، الحاكم كتاب العلم ، ١٧٥/١ رقم(٣٣١).

فهي واضحة لا تعقيد فيها ولا غموض وتتلخص هذه العقيدة في أن ما وراء هذا العالم البديع المنسق المحكم رباً واحداً خَلقَه ونَظّمهُ وقَدّرَ فيه كل شيءٍ تقديراً وهذا الرب ليس له شريك ولا شبيه ولا صاحبة ولا ولد ، قال تعالى:﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾[١٨] ، فليس في عقيدة التوحيد ما في العقائد الأخرى من الغموض أو التعقيد الذي يعتمد دائما على الكلمة المأثورة عند غير المسلمين (اعتقد وأنت أعمى) [١٩] .

٥- أنها عقيدة وسط :

معنى الوسط في اللغة:

يأتي الوسط لغة لعدة معان:

١- ما كان بين طرفي الشيء، وهو منه. كقولك: كسرت وسط الرمح، جلست وسط الدار، جئت وسط النهار[٢٠]، ومنه قول سوار بن المضرب:

إني كأني أرى من لا حياء له ... ولا أمانة وسط الناس عريانا

٢- يأتي صفة، بمعنى خيار، وأفضل، وأجود. فأوسط الشيء: أفضله وخياره.

والفردوس أفضل الجنة، وهو أعلاها، ووسطها، ومرعى وسط أي: خيار، ومنه قالت العرب: "وسط المرعى خير من طرفيه"، وواسطة القلادة: هي الجوهرة التي تكون في وسطها، وهي أجودها[٢١].

٣- ويأتي وسط بمعنى عدل. فالوسط من كل شيء: أعدله [٢٢].

والملاحظ على الوسط أنه في كل معانيه اللغوية لا يخرج عن العدل، والفضل، والخيرية.

المراد من كون العقيدة وسطية:

---

(١٨) سورة البقرة: الآية:١١٦.

[١٩] ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، دار الفكر – لبنان – ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، ٢/٢٥٠.

[٢٠] ينظر: لسان العرب لابن منظور ٤٢٧/٧، وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ٥/ ٢١٠.

[٢١] ينظر: الصحاح للجوهري ٣/ ١١٦٧.

[٢٢] ينظر: بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ٥/ ٢٠٩. وتاج العروس للزبيدي ٥/ ٢٣٨.

يراد من قولنا عن العقيدة: إنها وسطية: أنها:

١- أفضل العقائد، وخيارها.

٢- أعدل العقائد.

٣- لا إفراط ولا تفريط فيها.

ومن مظاهر وسطية العقيدة الإسلامية:

لا يستطيع الإنسان أن يتحدث في صفحات محدودة، بل ولا مجلدات عن مظاهر وسطية العقيدة الإسلامية؛ لأن ذلك أكثر من أن يحصر؛ فالأمة الإسلامية هي خير أمة أخرجت للناس، ورسولها -صلى الله عليه وسلم- أفضل رسول، وكتابها القرآن الكريم أفضل الكتب، وآخرها، والمهيمن عليها. فهي خيار في خيار.

ولي وقفتان، أتحدث من خلالهما عن مظاهر وسطية عقيدة هذه الأمة الوسط.

الوقفة الأولى: وسطية أمة الإسلام بين الأمم الأخرى:

بدت وسطية أمة الإسلام بين الأمم الأخرى في الأمور التالية:

١- في توحيد الله عز وجل، وصفاته: فهي وسط **بين اليهود والنصارى**؛ بين **اليهود** الذين وصفوا الرب سبحانه وتعالى بصفات النقص التي يختص بها المخلوق، وشبهوه به؛ فقالوا: إنه بخيل، وفقير، وأنه يتعب فيستريح، وأنه يتمثل في صورة البشر، وغير ذلك(٢٣).

وبين **النصارى** الذين وصفوا المخلوق بصفات الخالق عز وجل؛ فشبهوه به، وقالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم، وإن المسيح ابن الله، وإنه يخلق، ويرزق، ويغفر، ويرحم، ويثيب، ويعاقب، إلخ(٢٤).

وبينهما ظهرت وسطية المسلمين الذين وحدوا الله عز وجل، فوصفوه بصفات الكمال، ونزهوه عن جميع صفات النقص، وعن مماثلته لشيء من المخلوقات في شيء من الصفات، وقالوا: إن الله ليس كمثله شيء في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله(٢٥).

---

(٢٣) ينظر: تفصيل ذلك في كتاب: وسطية أهل السنة للدكتور محمد باكريم ص٢٣٨، ٢٤٤-٢٤٩.

(٢٤) ينظر: المرجع نفسه ص٢٣٨، ٢٤٩-٢٥٧.

(٢٥) ينظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٥/ ١٦٨-١٦٩.

٢- في أنبياء الله عز وجل، ورسله: فهي وسط أيضا بين اليهود والنصارى؛ بين اليهود الذين قتلوا الأنبياء، ورموهم بكل شين ونقيصة، وجفوهم، واستكبروا عن اتباعهم.

وبين النصارى الذين غلوا في بعضهم، فاتخذوهم أربابا من دون الله، واتخذوا المسيح عليه السلام إلها[٢٦].

وبينهما ظهرت وسطية المسلمين الذين أنزلوا الأنبياء منازلهم، وعزروهم، ووقروهم، وصدقوهم، وأحبوهم، وأطاعوهم، وآمنوا بهم جميعا عبيدا لله عز وجل، ورسلا مبشرين ومنذرين. ولم يعبدوهم، أو يتخذوهم أربابا من دون الله؛ فهم لا يملكون ضرا ولا نفعا، ولا يعلمون الغيب[٢٧].

٣- في الشرائع: فهي وسط أيضا بين اليهود والنصارى؛ فاليهود منعوا أن يبعث الخالق عز وجل رسولا بغير شريعة موسى عليه السلام، وقالوا: لا يجوز أن ينسخ الله ما شرعه، أو يمحو ما يشاء، أو يثبت ما يشاء.

والنصارى جوزوا لأحبارهم ورهبانهم أن يغيروا دين الله؛ فيحلوا ما حرم سبحانه وتعالى، ويحرموا ما أحل[٢٨].

أما المسلمون، فقالوا: لله الخلق والأمر؛ يمحو ما يشاء، ويثبت ما يشاء، والنسخ جائز في حياته صلى الله عليه وسلم، أما بعد وفاته -صلى الله عليه وسلم- فليس لمخلوق أن يبدل أمر الخالق سبحانه وتعالى مهما بلغت منزلته، أو عظم قدره.

٤- في أمر الحلال والحرام، فهي وسط أيضا بين اليهود والنصارى؛ فاليهود حرم عليهم كثير من الطيبات، منها[٢٩]:

أ- ما حرمه إسرائيل؛ يعقوب عليه السلام على نفسه، كما حكى تعالى ذلك عنه بقوله: {كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرائيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرائيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ}[٣٠] .

---

(٢٦) ينظر: تفصيل ذلك في كتاب: وسطية أهل السنة للدكتور محمد باكريم ص٢٣٨، ٢٦٠-٢٧٧.

(٢٧) ينظر: المرجع نفسه ص٢٣٨، ٢٧٧-٢٨٤. وانظر في معنى التعزير: الصارم المسلول لابن تيمية ص٤٢٢.

(٢٨) ينظر: وسطية أهل السنة للدكتور محمد باكريم ص٢٣٩.

(٢٩) ينظر: وسطية أهل السنة للدكتور محمد باكريم ص٢٤٠.

(٣٠) سورة آل عمران: من الآية ٩٣ .

ب- ما حرمه الله عز وجل عليهم جزاء بغيهم وظلمهم، كما قال تعالى: {فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا}[٣١]

والنصارى أسرفوا في إباحة المحرمات؛ فأحلوا ما نصت التوراة على تحريمه، ولم يأت المسيح عليه السلام بإباحته؛ فاستحلوا الخبائث، وجميع المحرمات؛ كالميتة، والدم، ولحم الخنزير[٣٢].

أما المسلمون: فقد أحلوا ما أحل الله لهم في كتابه، أو على لسان رسوله -صلى الله عليه وسلم- من الطيبات، وحرموا ما حرم عليهم من الخبائث؛ كما قال الله عنهم: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ}[٣٣]

٥- في العبادة، فهي وسط بين اليهود والنصارى أيضا؛ فاليهود علموا، ولم يعملوا، فهم المغضوب عليهم؛ أعرضوا عن العبادات، واستكبروا عن طاعة الله، واتبعوا الشهوات، وعبدوا أنفسهم للمادة، فاشتغلوا بدنياهم عن دينهم وآخرتهم[٣٤].

والنصارى لم يعلموا، وعبدوا الله على جهالة، فهم الضالون؛ غلوا في الرهبنة، وتعبدوا ببدع ما أنزل الله بها من سلطان؛ فاعتزلوا الناس في الصوامع، وانقطع رهبانهم للعبادة في الأديرة، وألزموا أنفسهم بما لم يلزمهم به الله، مما يشق على النفس والجسد، ويغالب الفطرة البشرية ويضادها، فلم يستطيعوا الوفاء بذلك، كما حكى الله عنهم: {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا}[٣٥].

أما الأمة الوسط: فقد علموا، وعملوا، فهم الذين أنعم الله عليهم؛ عبدوا الله وحده بما شرع، لم يعبدوه بالأهواء والبدع [٣٦]، ولم ينسوا نصيبهم وحظوظهم في الدنيا[٣٧]، وقدوتهم في ذلك رسولهم صلى الله عليه وسلم.

---

(٣١) سورة النساء: الآية:١٦٠.

(٣٢) ينظر: كتاب الصفدية لابن تيمية ٢/ ٣١٣.

(٣٣)

(٣٤) ينظر: وسطية أهل السنة للدكتور محمد باكريم ص٢٤٠.

(٣٥) سورة الحديد: من الآية: ٢٧ .

(٣٦) ينظر: كتاب الصفدية لابن تيمية ٢/ ٣١٣.

(٣٧) ينظر: وسطية أهل السنة للدكتور محمد باكريم ص٢٤٠.

فالوسطية في العقيدة الإسلامية إننا لا نجد فيها إفراطاً ولا تفريطاً ، فهي وسط بين الذين ينكرون كل ما يجهلونه مما لم تصل إليه حواسهم وبين الذين يثبتون للعالم أكثر من اله فقد رفضت العقيدة الإسلامية الإنكار الملحد كما رفضت التعدد الجاهل وأثبتت للعالم إلهاً واحداً لا اله إلا هو [٣٨]، قال تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [٣٩] .

فهي عقيدة تتميز وسطيتها بأمور كثيرة ، والوسط هنا يقصد به أنها عقيدة وسط بين الإفراط والتفريط، وبين الغلو والتقصير، فليست كالعقائد الأخرى التي فيها نوع من الانحراف والتغيير والزيادة والنقص[٤٠]، ولذلك نجد أن العقيدة الإسلامية وسطٌ بين الأديان كلها ، فاليهود هم الذين وصفوا الله بالنقائص وقالوا كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ﴾[٤١] _وقالوا قبحهم الله، كما جاء على لسانهم في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ﴾ [٤٢] .

ونجد أنها في المقابل وسط بين النصارى الذين غلوا في عيسى عليه الصلاة والسلام ، ووصفوه بصفات الرب سبحانه وتعالى[٤٣] ، وجعلوا له حق التصرف في الإحياء والإماتة، وله حق التصرف في الكون كله، وأصبح أهل السنة وسطاً بين هؤلاء ، فأثبتوا لله الأسماء الحسنى والصفات العلى، وهكذا في مسألة العبودية، فهم

---

(٣٨) ينظر: الوسطية في الإسلام لابن تيمية ، جمع وترتيب أبو الفضل عبد السلام بن محمد بن عبد الكريم ، دار الفتوح الإسلامية ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٦هـ -١٩٩٥م ، ٦٤-٦٦.

(٣٩) سورة المؤمنون: الآية:٨٤ – ٨٧.

(٤٠) العقيدة الدينية واهميتها في حياة الإنسان ، د. محمود حمدي زقزوق ، مطابع شركة الإعلام الإسكندرية ، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م ، ص٢٣-٢٥.

(٤١) سورة آل عمران:من الآية: ١٨١ .

(٤٢) سورة المائدة:من الآية: ٦٤ .

(٤٣) الوسطية لابن تيمية ،ص٦٦.

وسط بين الدهريين[٤٤]. الذين ينكرون وجود الله تعالى بالكلية، وكذلك في عصرنا الشيوعيون الذين يقولون: "لا إله والحياة مادة"، والدهريون الذين يرون أن الدهر هو الذي يتحكم بمصائرهم كما جاء في قوله تعالى:﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ ﴾[٤٥]، وبين طوائف المشركين الذين عبدوا آلهة متعددة، فقريش عبدت عند الكعبة أكثر من ثلاثمائة وستين صنماً من دون الله ، وجاءت العقيدة الإسلامية لتعلن للناس أن لا إله إلا هو سبحانه وتعالى ، وعَجِبَتْ قريش!! فقال الله تعالى على لسانهم:﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَاقٌ ﴾[٤٦] وقالوا:﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾[٤٧] مستنكرين لهذه الإلوهية.

٦- عقيدة الفطرة :

(والفطرة تعني أن الله تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا اله غيره)[٤٨]. فهي ليست غريبة عن الفطرة ولا مناقضة لها بل هي منطبقة عليها انطباق المفتاح المحدد على قفله المحكم ، قال تعالى:﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا

---

(٤٤) وهم طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبر، العالم القادر، وزعموا: أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه، وبلا صانع، ولم يزل الحيوان من النطفة، والنطفة من الحيوان، كذلك كان، وكذلك يكون أبداً وهؤلاء هم الزنادقة. المنقذ من الضلال للغزالي ٤/١.

(٤٥) سورة الجاثية: من الآية:٢٤.

(٤٦) سورة ص: الآية:٧ .

(٤٧) سورة ص: الآية:٥ .

(٤٨) تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء(ت:٧٧٤هـ) ، دار الفكر – بيروت – ١٤٠١هـ . ٤٣٢/٣.

يَعۡلَمُونَ﴾ [٤٩] وقد صرّح الحديث النبوي بذلك في قوله(ﷺ) عن أبي هريرة (ﷺ) قال : قال النبي (ﷺ): **(كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)**[٥٠] أي فطرتهم على دين الإسلام ، (المراد بالفطرة استعداد قبول الإسلام)[٥١] ويوضح الألوسي هذا الحديث بقوله :(والمراد بفطرهم على دين الإسلام ، خلقهم قابلين له غير نابين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقاً للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا أخر)[٥٢].

ولاشك في أنه ليس من دين ولا نِحلَة على وجه الأرض أيسر فهماً ، وأعظم اتساقاً مع الفطرة وموافقة للعقل من العقيدة الإسلامية ، بل هي الفطرة ذاتها التي يعد ما عداها انحرافاً وضلالاً ، والتي لا تتغير بحال وهذا ما جاء في قوله تعالى:﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ﴾ [٥٣] .

هذه العقيدة الفطرية تشرحها سورة واحدة صغيرة في القرآن الكريم قَلَّ أن يوجد مسلم لا يستظهرها بقوله تعالى :﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤ ﴾ [٥٤] وهي السورة التي نزلت جواباً للمشركين عندما سألوا الرسول (ﷺ) أن يصف لهم ربه.

هكذا وحدانية سهلة سلسلة تتشرّبُها النفس البشرية بطريقة تلقائية دون تعقيدٍ أو تكلفٍ فلا أقانيم ولا أبوة وبنوة ولا تشبيه ولا مكافأة[٥٥].

---

(٤٩) سورة الروم:الآية:٣٠.

(٥٠) تقدم تخريج الحديث في ص٢ .

(٥١) فيض القدير، المناوي ٤/٤١٦.

(٥٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ت ١٢٧٠هـ تحقيق سيد عمران ، دار الحديث–القاهرة ، ١٤٢٦هـ –٢٠٠٥م ، ٢١/٥٤ .

(٥٣) سورة الروم:من الآية:٣٠ .

(٥٤) سورة الإخلاص:الآيات: ٤.١.

(٥٥) ينظر: لباب النقول في أسباب النزول ، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل(ت:٩١١هـ)، دار إحياء العلوم – بيروت، ص٢٣٨.

٧-أنها تقوم على التسليم لله (ﷻ) ولرسوله (ﷺ) :

وذلك لأنها غيب ، والغيب يقوم على التسليم .

فالتسليم بالغيب من أعظم صفات المؤمنين التي مدحهم الله بها ، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾[٥٦]، وذلك إن العقول لا تدرك الغيب ولا تستقل بمعرفة الشرائع، لعجزها وقصورها، فكما أن سمع الإنسان قاصر، وبصره كليل، وقوته محدودة، فكذلك عقله، فتعينِ الأيمان بالغيب والتسليم لله (ﷻ)، قال الطبري[٥٧] في تأويل قول الله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [٥٨] ، (إنما هم الذين يؤمنون بما غاب عنهم من الجنة والنار والثواب والعقاب والبعث والتصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله وجميع ما كانت العرب لا تدين به في جاهليتها بما أوجب الله جل ثناؤه على عباده الدينونة به دون غيرهم)[٥٩] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[٦٠](رحمه الله) : (والإيمان بالغيب لا يتم إلا بالإيمان بجميع ما أنزله الله تبارك وتعالى)[٦١].

٨- شمولية العقيدة :

---

(٥٦) سورة البقرة: الآية: ٣.

(٥٧) محمد بن جرير بن يزيد الطبري الإمام الجليل المفسر أبو جعفر صاحب التصانيف الباهرة مات سنة عشر وثلاث مائة ثقة صادق ، قال الخطيب : كان بن جرير أحد أئمة العلماء يحكم بقوله ويرجع الى رأيه لمعرفته وفضله وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره لسان الميزان ٥/ص١٠٠.١٠١.

(٥٨) سورة البقرة: من الآية: ٣.

(٥٩) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري ابو جعفر، (ت:٣١٠هـ) ، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ ،١/ ١٠٢ .

(٦٠) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني ابن تيمية الشيخ الإمام العالم العلامة المفسر الفقيه المجتهد الحافظ المحدث شيخ الإسلام نادرة العصر ذو التصانيف والذكاء والحافظة المفرطة تقي الدين أبو العباس ابن العالم المفتي شهاب الدين ابن الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات مؤلف الأحكام وتيمية لقب جده الأعلى ولد بحران وتحول به أبوه إلى دمشق وتوفي سنة ٨٢٧هـ.الوافي بالوفيات ١١/٧.

(٦١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : احمد عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ، تحقيق :علي سيد صبحي المدني ، مطبعة المدني . مصر، ١٣٧/١.

والشمولية تعني عدم الاقتصار على طلب علمها وممارسة أعمالها والتحقق بمقتضاها في باب دون باب ، أو في أصل دون أصل ، إذ ليس شيء من العقيدة مهجورا ، والجمع بين علمها ومقتضياتها وآثارها في القلب والجوارح ، هو تحقيق العبودية[٦٢].

والعقيدة الإسلامية تمتاز بأنها شاملة من حيث المعنى والتطبيق .

ويراد بشمولية المعنى: أي تصورها الكامل للقضايا العقدية الكبرى التي ضل فيها الكثير من الفرق[٦٣] .

والمراد بشمولية التطبيق: شمولية أثار هذه العقيدة لحياة المسلم من جهاتها المختلفة بحيث تتكامل هذه الآثار وتتفاعل في صياغة الحياة صياغة ربانية[٦٤] .

---

[٦٢] ينظر: علم التوحيد عند اهل السنة والجماعة ، المبادئ والمقدمات ،محمد يسري ، ط١، ٢٠٠٤هـ ، ص٢٣٥.٢٣٦ .

[٦٣] ينظر : مرقاة المفاتيح ، علي القاري ٣٨٥/٥.

[٦٤] ينظر: معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات ، محمد بن خليفة بن علي التميمي ، أضواء السلف . الرياض . المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م ، ص٦.